النفس البشرية

صنّفها المفريان العلّامة ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تابع لما قبلُ)

الفصل الخامس والثلاثون

في بيان انّ النفس هي تدبّر الجسد وتسوسهُ

لا يُخفى انّ الجسم آلة للنفس وهي الفاعلة به ويلزم الفاعلَ بالآلة ان يدبّرها ويسوسها فالنفس اذن تدبّر البدن وتسوسهُ. والدليل على ذلك انّ النفس تمنع البدن وتردعهُ مرارًا عديدة عن شهواتهِ في سبيل فوائدها وتأبى العمل بما يرضيهِ وتلزم القانون الذي يضادُّ طبيعة الجسد فيظهر بهذا انّها هي السائسة. واما اذا غُلبت النفس بالدواعي البدنية والشهوات الدنيويّة من المآكل والمشارب اللذيذة والملابس البهيّة وهَويت ذلك فيكون الامر بعكس المطلوب اذ يصير البدن حاكمًا عليها وقاهرًا لها وتلك شرّ الاحوال العياذ بالله من عواقبها

واعلم انّ الآلة تُقال على ضربين ضرب صناعي وضرب طبيعيّ فالصناعيّ مثل آلة النجّار فانّها مُباينةٌ لذاتها وهذه تسمّى اداةً. واماّ الطبيعيّ فمثل البدن والنفس اللذين يتركّب منهما الانسان الواحد ويتمّ حدّهُ بهما معًا. فهذا هو المراد بانّ البدن هو آلة النفس واماّ تدبيرها لهُ فبالحواسّ العشرة: خمسة ظاهرة وهي البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس. وخمسة باطنة وهي الحسّ المشترك والخيال والوهم والفكر والذكر. اماّ شرح مفاعيل هذه القوى وبيان حدودها وفوائدها فيُطلب من المباحث الطبيعيّة

الفصل السادس والثلاثون

في بيان انهُ ليس يمكن ان يكون انسانٌ غيرَ ناطق

وذلك انّ النطق عبارة عن ان يَفهم الانسانُ ويُفهم المعاني لغيرهِ ولا نجد انسانًا خاليًا من هذه الحالة. والتعبير يكون اماّ باللفظ او بالكتابة او بالاشارة كالاخرس. وأمّا الطير الذي يتكلّم بالفاظٍ فصيحة فيكون قد تعلّمها مرارًا عديدة ومع ذلك فلا يعلم بما ينطق بهِ ولا لهُ قدرة على تعليم غيرهِ شيئًا يعرفهُ

الفصل السابع والثلاثون

في بيان كيفية افعال النفس في البدن

اعلم انّ النفس واحدة بسيطة فيجب من ثمّ ان يكون فعلها واحدًا. لكنّ دواعي بدنها كثيرة فلذلك تختلف افعال النفس فيهِ من قِبَلِهِ لا من قبلها. واذا صحّ ذلك فنقول ان اوّل فعل النفس في البدن هو التغذية والتربية والنموّ تُفيدهُ الحسّ والحركة ليدرك الانسان بحواسّهِ الظاهرة ثم تستدرج الى الحواس الباطنة فيتمكّن الانسان ممّا يقصدهُ من استنباط المعاني. وتحت هذا سرّ عظيم تبارك اسمُ مُبدعهِ (١

الفصل الثامن والثلاثون

في بيان اختلاف مزاج الاشخاص البشرية مع وحدة نوع انفسها

اعلم انّ السبب الاوّل لهذا الاختلاف غلبة الأخلاط بعضها على بعض فتُوجب في الاشخاص امورًا متناقضة. وربّما حصل ذلك لسبب آخر وهو الاعتياد. فترى الذي يقهر نفسهُ يحصل على عادة اللطف والتواضع. ويتسارع الى الفضائل والإحسان. وزد على ذلك انّ المزاج يقبل الزيادة والنقصان ولولا ذلك لما افاد التهذيب والعلم والتأديب وكان وجود كلّ هذه عبثًا وهو محال

الفصل التاسع والثلاثون

في بيان السبب الذي لاجلهِ تمتنع النفس عن الافعال الفائقة حالما في ابدان الاطفال

انّ سبب ذلك ظاهرٌ وهو ضعف الآلة المختصّة بفعلها على ما بيّناهُ آنفًا لان عمل النفس يكمل باستعمالها الحواسّ العشرة. وهذه الحواس في الطفل قاصرة عمّا هو المقصود في تحصيلهِ وتكميلهِ

الفصل الاربعون

في الردّ على من زعم انّ النفس ليست ناطقة بالفعل في الطفل

زعم قومٌ انّ النفس ليست ناطقة بالفعل في الطفل وذلك مُحال. لان النفس ناطقة

---

١) مرجع هذا الفصل الى انّ النفس البشرية نباتيّةٌ وحيوانيّة وناطقة معًا فمن حيث انّها نباتيّة وحيوانيّة يتفيد منها البدن النموّ والحسّ والحركة ويتمكّن من كل الافعال التي نراها في النبات والحيوان كالتغذية والنوم والخيال. امّا من حيث انّها ناطقة ففعلها مجرّدٌ عن الجسم

بالطبع وكلُّ ما يكون بالطبع لا بُدَّ ان يوجدَ بوجود ذلك الشيء. مثل الحرارة للنار والرطوبة للماء. فوجب ايضاً نطق النفس بوجودها. والمانع لها في الطفل من إكمال فعلها ضعف آلتها كما بيَّنَّا آنفاً. وذلك مثل الماهر في صناعة الكتابة فانَّهُ يعجز عن اتمام غرضه دون كمال آلته

الفصل الحادي والاربعون

في بيان حال الطفل الذي يُمكن تربيتُهُ دون سائر البشر هل يعرف لغةَ الكلام ام لا

نقول انَّ الذي هو بهذه الصفة يُشبهُ شخصاً جالساً بين اقوام لم يسمع لغتهم فيمتنع عليه معرفةُ تلك اللغة. وهكذا تكون حال الطفل المذكور فانهُ يبعث بلسانه بعثاً ولا يُعرب عن لغة مقصودة. وسبب ذلك انَّ الالفاظ دالَّة على المعاني المخزونة في النفس وتلك الالفاظ متَّفقٌ عليها في اللغات تفتقر الى معرفة كيفيَّة الاصطلاح عليها. وذلك هو المقصود من اللغة اعني ان يُتحصَّل بها العبارة عمَّا في النفس

الفصل الثاني والاربعون

في بيان انَّ النفس متناهية بكياتها وقواها

نقول انَّ الجسم بالضرورة هو متناهٍ لانَّهُ مُحاطٌ بغيره ولهُ نهاية وحدود. واما النفس فانَّ تناهيها من قِبَل انها حادثة وكلُّ حادثٍ متناهٍ فالنفس اذن متناهية — ثمَّ انَّ نفس كلِّ واحدٍ من البشر مقصورة على تدبير جسمها. والمقصور على الشيء دون غيره متناهٍ فالنفس اذن متناهية

الفصل الثالث والاربعون

في تباين الانفس بعضها عن بعض

انَّ المُباينة بين النفوس على وجهين احدهما بالذات اعني ان يختلف ذات كلِّ نفسٍ عن ذات الاخرى كنفس سقراط مثلاً ونفس افلاطون. والوجه الثاني بالعدد مثل قولنا نفس واحدة وثانية وثالثة ورابعة. وهاتان المباينتان ظاهرتان. — ثمَّ انَّ النفوس بَعْدَ المَعاد تتباين بعضها عن بعض بامرين آخرين وهما المحلّ الروحاني (١ والمعاني التي حصلت للنفس من الفضائل والرذائل (٢ فيكون لها على ذلك مباينات اربع بعد المعاد.

---

١) يريد بالمحلّ الروحاني دار النعيم او سُكنى الاشرار في الجحيم

٢) اي انَّ النفوس تتباين ايضاً في العالم الآخر بالصفات الحسنة او المرايا السيّئة التي تكيَّفت بها

الفصل الرابع والاربعون

في بيان انّ نفس السقط مثل النفس التي مكثت مع جسدها زمناً طويلاً

اعلم انّ الكيان الجوهري المتعيّن للنفس لم يزد ولم ينقص لأنهُ ذاتٌ لا عرَض. واماً عند فراق النفس من الجسد فلا يقال انّها برزت من العضو الفلاني او من الجهة الفلانية كما يظنّ البعض انّ النفس تبرز من الفم فانّ هذه واشباهها لا تليق بالنفس بل بالجسد. واماً فراق النفس للجسد فكمثل افتراق حرارة النار من الذهب المُحمّى ومثل قوّة الدواء اذا بطلت منهُ ومثل نور القضاء اذا زال عنهُ

الفصل الخامس والاربعون

في بيان انّ النفس اذا فارقت الجسم لم يصدق عليها الفساد والهلاك

لقد بيّنّا انّ النفس بسيطةٌ وانّها ذات واحدة وطبعُها الحياة وهي قائمة بذاتها غنيّة عن موضع توجد فيهِ. وكلّ من كان بهذه الصفة فهو باقٍ فاذن النفس باقية بعد الفراق — ونقول ايضاً لو صدق على النفس الفناء لكان ذلك وهي في عذاب الجسد اجدر واحرى لانّ المُبتلى بانواع الضيق اسرع الى الهلاك منهُ عند الفكاك. ولمّا لم يصدق عليها الفناء وهي تقاسي مرارة دواعي البدن امتنع عليها ذلك بعد فراق الجسد. وذلك ما اردنا ان نبيّنهُ

(التتمّة في العدد الآتي)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي

٣ نهر الكلب

انّ طريق جونية كما ذكرنا في مقالتنا السابقة يقطع نهرًا طالما ورد ذكرهُ في تاريخ سواحل فينيقية وهو نهر الكلب. وليست خطارة هذا النهر بعمق غَوْر مياههِ او طول مسافة سيلهِ لانّ اصلهُ كما لا يُخفى من مغارة في سفح جبل جعيتا تبعد عن البحر ستّة اميال فقط وتختلط مياههُ عند خروجهِ بالمياه المنحدرة من أعالي لبنان من نبعَي اللبن